

مَن قال أن الله موجود؟

القديس نيقولا فيليميروفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كلاكما، أنت وأمك المسنة، مهتمتان بالإيمان الأرثوذكسي. منذ أن بدأت في تنفيذ وصايا الصوم والصلاة والمحبة والشركة، أصبحت أسرار الحقيقة أكثر وضوحًا لك. وهذا، في الواقع، هو المسار الصحيح: من خلال ممارسة ما نعرفه، نصل إلى المجهول.

الصلاة الصامتة على مدى سنوات طويلة تكشف الحقيقة. لكن قلبك يتحرّق بالرغبة في توجيه كثيرين إلى طريق الحقيقة. ومع ذلك، فالناس هم الناس: في إحداهم يُظلم العقل بالأكاذيب؛ وفي آخر تقوى الأهواء القلب. وما ترغبين به لن يأتي بسهولة. إنه يتطلب الكثير من التطهر، اغتسالات كثيرة بالماء المقدس، سبعة أضعاف التغطيس في الأردن. لهذا فاجأك سؤال العامل من فاناتي: "من يقول أن الله موجود؟" وأنت في حيرة كيف تردّين عليه. بادئ ذي بدء، صلّ إلى الله بشأن ذلك، ثم أجيبي على النحو التالي:

النبات تحت قدميك هو دليل يا أخي. هذه يمكن ردها إلى اليوم واللحظة التي نُطقت فيها كلمات الخالق: " وَقَالَ اللَّهُ: «لِتُثْبِتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بَزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَغْمَلُ ثَمَرًا كَجَنَسِهِ، بَزْرُهُ فِيهِ عَلَى الْأَرْضِ» (تكوين ١: ١١).

الشمس والقمر والنجوم هي دليل. إذا كنت يا أخي تبحث عن شهادة فوق رأسك، فإن الشمس الحارقة هي شاهد، والقمر الغريب وعناقيد النجوم. اذهب حيثما تريد، وحاول أن تعرف من أين أتت ولن تعلم، حتى تعود إلى ذلك اليوم واللحظة التي رنّ فيها كلام الرب فوق الظلام والهَيُولَى: " وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَكُنْ أُنُورًا فِي جِلْدِ السَّمَاءِ... لِتُبَيِّرَ عَلَى الْأَرْضِ ... عَمَلُ اللَّهِ الثُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ... وَالنُّجُومِ.» (تكوين ١: ١٤-١٦).

البحر والجو هما أيضا برهان. إذا كنت تبحث يا أخي فإن طول البحر وعرضه وعمقه هي إثبات، وكذلك الجبال والرياح والغابات وتلال النمل وأقراص عسل النحل وكل ما يعيش في البحر، في الهواء، وفي الجبال والغابات وتلال التراب وخلايا شمع العسل. تتبغها عبر الزمن، ولا تستدِرْ يمينًا ولا يسارًا، لا تُسَلُّ أحدًا عن الطريق، وستعود إلى تلك اللحظة البهيجة عندما جلجل صوت المحبة من السماء: "ليكن، ليكن، ليكن، ليكن، فكان كذلك" (تكوين ١).

والثور والحمار دليل بحسب قول النبي إشعياء: "الثور يعرف سيده والحمار مذود صاحبه" (أشعياء ١: ٣).

قل لي يا أخي أيُّ من المواد التي تحت السماء لا تشهد لله؟ سأمنحك مائة عام لترهق نفسك خلال هذا الجهد الذي لا طائل من ورائه ولن تجد نصلاً واحداً من العشب لا يشهد على عظمة صانعه. لكن لاختصار وقتك ومساعدتك على رؤية ما ليس دليلاً على وجود الله، سأخبرك بنفسني: إنهم الأشخاص الضالون في العالم كله، وهؤلاء فقط ولا أحد سواهم.

إن ترتيب الخليقة وتناسبها وعددها وانسجامها الإلهي لهي دليل. إن عقل وضمير جميع القديسين والصالحين برهان على ذلك. ولكن، فوق كل شيء وكل إنسان، هناك إثبات ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي به ظهر إلهنا العظيم الأبدي في الجسد البشري، وزار الجنس البشري، وأعلن الأسرار، وأظهر لنا الطريق وفتح الملكوت. إذا كنت تريد أن ترى الله بأب عينيك وأن تسمعه بأذنيك، وهو ما جعلنا الله قادرين على القيام به، انظر إلى يسوع المسيح. فسوف ستري، وسوف تسمع، وسوف تعيش حياة جديدة.

إن هذه طريقة يمكنك من خلالها الرد على تلك الروح المسكينة التي تسعى بعطش وراء الله وتريد رؤيته والاستماع إليه. لكن هذا ليس كل ما يمكن قوله. هذه مجرد حزمة واحدة من حقل الله الشاسع، حيث كل ما ينمو هو شهادة للخالق. وهو لا ينمو إلا ليشهد، من ثم يذهب إلى الأبد! من جهتك يا ابنتي، تابعي النمو في الفضيلة. لا تنظري إلى اليسار ولا إلى اليمين؛ فقط اتبعي طريق الخلاص. قريباً سوف نموت. وبعد الموت، تنتظرنا دينونة الله لكيف شهدنا له، كوننا الأقرب إلى الله. وعند الدينونة سيكون هناك صقان من الناس: واحد عن يمين رب المجد هم الذين لم يخجلوا بالمسيح. وعن يساره، سيكون أولئك الذين في هذه الحياة، " في هذا الجيل هذا الجيل الفاسق الخاطي" (مرقس ٨: ٣٨)، خجلوا بالمسيح.

* من رسالة إلى معلمة مدرسة وأمها المسنة.

Source: Saint Nicholas Velimirovich. Who says God exists? *Pemptousia*. 2 October 2021.

<https://pemptousia.com/2021/10/who-says-god-exists/>